

جماليات القبح في الشعر الجاهليّ

The aesthetics of ugliness in pre-Islamic poetry

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	مرتضى حسين خريبط		
الدرجة العلمية	مدرس دكتور		
مخبر الانتماء			
جامعة الانتماء	جامعة سومر / كلية التربية الأساسية		
البلد	العراق		
البريد الإلكتروني			
الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل		مرتضى حسين خريبط البدري mrtadha.mm150@gmail.com	
الملخص باللغة العربية			
الملخص	إنَّ البحث في الثنائية الضديَّة (الجمال والقبح)، من الإشكاليات المحورية في مفهوم علم الجمال، إذ يرى البعض القبح على أنه يضاد الجمال ويلغيه، في حين يرى البعض الآخر أنه درجة من درجات الجمال وأداة تجلي الجمال في الأشياء ويظهر القبح فيه فنيًا ممَّا يسهل للمرء التخلص من آثاره، والبحث يحاول توظيف النظرة إلى جمالية القبح بعدّه مصطلحًا نقديًا. فالببحث يحاول الكشف عن مضمرات ما تعارف عليه المجتمع على أنّه قبيح، فيخرج تلك المضمرات بصورة جميلة، وكان الاختيار على العصر الجاهليّ؛ لأنّه عَصَرُكَز على قبحيات عدّة، ومعلومة لدى المجتمع العربيّ قبل الإسلام، في حين نجد من يخترق تعاليم المجتمع ويرى في قبحه جمالًا لا حدود له.		
الكلمات المفتاحية:	علم الجمال؛ جماليات القبح؛ الشعر القبيح؛ شعر عصر ما قبل الإسلام؛ قبحيات الجمال		
الملخص باللغة الأجنبية			
ABSTRACT:	Research into the duality of opposites (beauty and ugliness) is one of the central problems in aesthetics, as some see ugliness as the opposite of beauty and cancelling it out, while others see it as a degree of beauty		

	and a tool for revealing beauty in things, and ugliness appears in it artistically, which makes it easy for a person to get rid of its effects. Research attempts to employ the view of the aesthetics of ugliness by considering it a critical term. The research attempts to uncover the implications of what society has come to regard as ugly, and to present those implications in a beautiful way. The choice was made for the pre-Islamic era because it was an era that focused on several uglinesses known to Arab society before Islam, while we find those who violate society's teachings and see limitless beauty in its ugliness.
Key Words:	aesthetics, aesthetics of ugliness, ugly poetry, pre-Islamic poetry, ugliness of beauty

1. المقدمة

تُعدُّ ظاهرة خرق المسلمات من الظواهر التي شهدها العصر الجاهلي؛ وذلك لوجود التفاوت الطبقي بين فئاته المختلفة، فمُقدسات الطبقة عليا التي تحاول الحفاظ عليها، وعدم مسّها ما هي إلّا مُدنسات في نظر من لا يهتم أمرها من الطبقات الأخرى، وهذا الأمر أعطى لثنائية (القبیح والجميل)، ثراءً من الناحية الأدبيّة.

2. جماليات القبيح

يُعدُّ القبح واحداً من بين المفاهيم الجمالية التي عكف الإنسان على دراسة تشكل صوره في الحياة بإبعاده المادية المتباعدة كما تتبع خط تأثيره على النفس الإنسانية وفق معادلة التأثير والتأثر هذا من جهة، ومن جهة أخرى واكب دراسة انبثاقات القبح من المحركات الداخلية للإنسان ذاته، والتي يمكن قراءتها بواسطة الفعل المتحقق اتجاه الآخر، ولأجل رصد حركة صور القبح تلك ضمن معيارها المفاهيمي، كان لابدّ من التوقف أمام تلك القراءات التي قدمتها الفلسفة وذلك عن طريق نافذتها المعيارية لقيمها والتي حدّدها فلاسفتها بعدئهم المصدر الذي يستطيع أن يرشدنا لرسم خارطة القبح عبر التاريخ الإنساني، لذلك ((هنالك عدة معايير موضوعية وأخرى ذاتية هي التي تؤثر على المفهوم البشري في تحديد صفات القبح)) (1) لهذا يمكن القول أن القبح لا يكتسب معياراً ثابتاً على مر الأزمنة، وهنا يكون لمفهوم القبح صور تبتعد عن بعضها أحياناً وتتقاطع في أحيان أخرى والتي تخالف الجمال في القانون والتشكل (2).

ويُعدُّ ((البحث في جماليات القبح من الدراسات المتنازع عنها؛ لأن القبح في المنظور الاجتماعي يضاد الجمال، ودراسته تحت مظلة المنهج الجمالي ضرب من العناد، يطيح المرء في المسكوت عنه ويفضح المستور في صور وألفاظ قبيحة لا يستسيغها بعض من أفراد المجتمع، وتأتي هذه الدراسة في سياق التأكيد على ضرورة تطويع الذائقة الاجتماعية لتنازع باتجاه الذائقة البشرية التي بدأت الاستفادة من الصور القبيحة في

الترويج للجمال ومنجزاته الإعلامية والاقتصادية، أما سياحتها في الشعر القديم، فلإقناع تلك الذائقة بأن الأصول الشعرية القديمة، عالجت القبح في اللفظ والصورة ووظفتها فنا شعريا محفوظا في العديد من الكتب التراثية والدواوين الشعرية التي يحلها هذا المجتمع(3).

ونجد أن البحث في جمالية القبح في الشعر القديم ما يزال بكراً، ويحتاج لتسليط الأقلام والدراسات نحوه، ويأمل أن يجيب عن تساؤلات عدّة في أثر خروج الشاعر على قيم الجمال وتوظيف القبح في الشعر على تشكيل الذائقة الاجتماعية، ودوره ذلك في خلخلة القيم الجمالية ووعيها والإحساس بالجمال..

ومن النقاد العرب من وعى هذا الإشكال، إذ تساءل طه حسين عن علاقة الشر بالفن فقال: ((هل يستطيع الفن أن يتخذ الشر موضوعا ويستخلص منه صوراً فنيّة جميلة ؟ وبعبارة أدق وأوضح : هل في الشر جمال يصلح موضوعاً للفن؟)) (4).

ومن العبارات التي تصبّ في صالح بحثنا، وتقربّه بصورة دقيقة لدى المتلقي هي عبارة ولترسيس (Walter Stace) في ضرورة وجود القبيح في عالمنا؛ ((عندما يدخل القبيح كعنصر استيطيقي في الفن، فمن المؤكد أنه يخلق شعوراً بالاستياء لكن بمقدار ما يؤدي إلى شعور استيطيقي من حيث إنه عمل فني أصيل، فإنه يؤدي إلى المتعة)) (5).

فالجمال لا يستطيع البوح عن كنهه، والتصريح بنفسه ما لم يكن هناك ندّاً له، فهما ضدان، بل هما مكملان لبعضهما، كما قال علي بن جبلة (العكوك):

فَالْوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مَبِيضٌ وَالشَّعْرُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسَوَّدٌ

ضِدَانٍ لَمَّا اسْتَجْمَعَا كَمَلًا وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ (6)

فهذا الجميل الرتيب يحتاج إلى زعزعة ليسترجع حيويته ونضارته ويوصل من جديد كيانه، وهذا ما يجعل الشاعر يُقبل عليه حينما يتجرأ على السائد في المؤسسة الأخلاقية من جهة والمؤسسة النقدية من جهة ثانية فيُنشأ معهما علاقة صداميّة يعكسها شعره كما تعكسها آراء النقاد فيه (7).

ففي المنظومة الجاهليّة نجد شعراءها لم يلتزموا بالتعاليم والقيم التي وجدوا المجتمع يسير عليها، فسجلنا خرجات كثيرة خرج بها شعراء الجاهليّة ما كان متعارف عليه.

وبهذا الصدد يلوح في ذهننا سؤال مهم، وهو هل كلُّ خروجٍ عن السائد تُعدُّ قبحاً؟، وهل الشعراء الذين تصالحوا مع المجتمع لم يكن لديهم قبح؟.

وأوّل صور الجمال الذي يخفي بداخله القبح يطالعنا بها امرؤ القيس في تصويره للحرب في صورتها الأولى وصورتها الختامية، فيقول:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ

حتى إذا اسْتَعَرَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلٍ

شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ (8)

فالشاعر يُصوِّر الحرب في بدايتها بتلك الفتاة التي تسرق اللب، فيتهافت عليها الرجال من غير دراية لما تخفيه من شر تحت رداءها، حتَّى إذا أخذت باستمراريتها ولم يتمكن أيُّ من الأطراف المتنازعة في إيقافها، وهي مستمرة في ازهاق أرواح أبنائها، يتضح لهم جلياً بفساد من تقاتلوا من أجله، وتلك الفتاة التي في ريعان شبابها ما هي إلَّا صورة بشعة اشبه بعجوز جرَّت شعرها، وتكون النهاية كلَّ الأطراف خاسرين.

ومن الشعراء الذين اشاروا إلى بشاعة الحرب وقبحها الشاعر زهير بن أبي سُلمى في معلقته، الذي رأى فيها سريعة الاشتعال إذا أحدهم حاول اشغالها، فهي كفيلة بأن لا تبقي ولا تدر، فيقول:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ

مَتَى تَبَعَثُوهَا تَبَعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَّمِ

فَتَعَرَّكُمْ عَرَكَ الرِّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحَ كِشَافاً ثُمَّ تَحْمِلُ فَتَنْتِمِ

فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمِ

فَتُغْلِلَ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ

فما عُرِفَ عن زهيرٍ من حكمةٍ ورجاحةٍ في العقل، يجعلنا نقف أمامَ خبيرٍ في مشارب الحياة عارفاً ما تؤول إليه نتائج الحروب، فيقدِّم نصيحته لمن غرته الحرب، وكأنَّه يقول: فما الحرب إلَّا ما جربتم وعرفتم كراحتها وكلامي عنها ليس بمحض ظنون إنما هي حقيقة تدركونها وفي كلامه هذا تحريض على الصلح، ومن ثم يحذرهم ويخوفهم ويخبرهم أنه في أي وقت يثيرون الحرب يعابون على ذلك وتصبح الحرب أشد إذا أشعلوها (9).

ومن جماليات القبح التي وجدنا لها أثراً في الشعر الجاهليّ، ذكاء المهلهل بن ربيعة حين وقع أسيراً، في تخليص نفسه، وبث الرعب في قلب أسره، فلجأ إلى فكرة التغزل بزوجته (وهو ما عُرِفَ في العصر الأمويّ بالغزل السياسيّ)، فالغاية من هذا النوع من الغزل ليس التشبُّب بالمرأة، وإظهار الوجد لها، ووصف مفاتها، بل وجد أنَّ العرب أعزَّ ما عندها شرفها، لذا فالمهلهل ضرب أسره بقلبه حين راح يتغزل بزوجته، فيقول:

طِفْلَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُجَلَّلِ بَيْضَا لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِنَاقِ

فَإِذْهَبِي مَا إِلَيْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقَ مَنْ فِي الْوِثَاقِ

ضَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتَكَ الْوَاقِ (10)

اتخذ المهلهل هذا اللون من الشعر للانتقام من خصمه عمرو بن مالك البكريّ، الذي كان سجيناً عنده، فما كان من خصمه إلَّا أن ضربه ضرباً مبرحاً كاد يؤدي بحياته، فالمهلهل حين أدرك لا سبيل له من إيذاء خصمه

إلّا بعرضه، لم يبال بما ستؤول إليه الأمور، فالقبح فيما أقدم عليه الشاعر عوضه بجمال النتائج التي حصل عليها في أذية خصمه والانتقام منه.

ويطالعنا الشاعر لبيد بن ربيعة في موقفه من خاله الربيع، إذ صوره بأقبح الصور التي يكون عليها، قالباً موازين العلاقة بين الربيع والنعمان بن المنذر، من المودة إلى العداوة والبغضاء، فيقول:

يُخِيرُكَ عَنْ هَذَا خَبِيرٌ فَاسْمَعَهُ

مَهْلًا أَتَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

إِنَّ إِسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهُ

وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ

يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِي أَشْجَعَهُ

كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ (11)

فلبید وأهله كانوا على خلاف مع خاله الربيع، فالأحداث تبدأ عندما ((رافق لبید وهو غلام أعمامه يقودهم عمه ملاعب الأسنة وهم يفدون على النعمان، ولكنه لم يدخل معهم عليه؛ لأن واجبه هو خدمتهم بحفظ متاعهم ورعاية إبلهم، فوجدوا عنده الربيع، فلاحظوا منه تغيراً وجفاء بعد أن ألبه عليهم الربيع، ولم يقض حاجتهم، فخرجوا من عنده غضاباً، وسمعهم ليلة يتذكرون أمر الربيع، وما يلقون منه من إفساد علاقتهم بالملك، فسألهم فلم يخبروه؛ لكون الربيع خاله، إلا بعد ضغط منه، أن خاله الربيع قد غلبهم على الملك، وصد عنهم وجهه، فطلب منهم لبید أن يجمعوا بينه وبين الربيع ليزجره عنهم بقول ممض، ثم لا يلتف النعمان إليه بعده أبداً، وبعد أن تأكدوا من قدرته الهجائية، غدوا به معهم على النعمان بعد أن ألبسوه حلة بدلا من ثيابه، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع وهما يأكلان ليس معه غيره، والدار والمجالس مملوءة من الوفود فقام لبید حليق الرأس لم يبق منه سوى ذؤابته، وارتجز ارتجالاً وكأنه في معركة، بل إنه في معركة فعلاً)) (12).

فالقبح الذي رافق توصيف لبید للربيع، قابله جمال الوصول للمبتغى الذي من أجله قاله قصيدة، وكذلك علو شأن لبید وهو في عمر مبكر، إذ انبأت قصيدته عن فتى ذي شأنٍ عظيم .

ومن القبيح الذي كان معروفاً في العصر الجاهليّ زواج الضماد(*)، في حين نجد من الشعراء من رفضه على نفسه، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

تريدين كيما تضمديني وخالدا وهل يُجمعُ السيفان ويحك في غمدٍ؟ (13)

فالمنظومة الاجتماعية في ذلك العصر ابحاث إلى حدٍّ ما هذا الصنيع في أوقات القحط والجوع، إذ نستشف ذلك عن طريق مجاهرة المرأة في اتخاذ رجلين في ذات الوقت، فتولدت ثنائية السر/والجهر للتعبير عن حريتها وإثبات ذاتها، غير مكترثة لرفض جزء كبير من ذلك المجتمع لهذه الأفعال المحرمة، ومُصرحة بمعاصيها، وعلى

النقيض من ذلك نجد جمال الموقف وحسن التعامل من قبل الزوج الشاعر الذي وقف بالضدّ منها، مُبدياً امتعاضه من فعله، وعلى هذا المنوال سار شاعر جاهلي:

((عن أبي عمرو، قال مدرك:

لا يخلص، الدهر، خليل عشرين ذات الضماد أو يزور القبرا

إني رأيت الضمد شيئاً نكراً

قال: لا يدوم رجل على امرأته ولا امرأة على زوجها إلا قدر عشر ليالٍ للعدري في الناس في هذا العام، فوصف ما رأى لأنه رأى الناس كذلك في ذلك العام، وأنشد:

أردت لكيمّا تضمديني وصاحبي، ألا لا، أحبي صاحبي ودعيني)) (14)

ويطالعنا عنتره بن شداد العبسيّ في وصفه لأمه (زبيبة)، بأقبح الصفات، مُجسِّداً صفات النفور وعدم التناسق في الشكل الخارجي، فهي صاحبة المظهر الحبشيّ الذي يميّز بتجعد الشعر والبشرة السمراء الداكنة وغلظة الشفتين، وغيرها من الملامح التي يميز بها هذا العرق البشريّ، فيقول:

وَأَنَا ابْنُ سَوْدَاءِ الْجَبِينِ كَأَنَّهَا ضَبْعٌ تَرَعَرَعَ فِي رُسُومِ الْمَنْزِلِ

السَّاقُ مِنْهَا مِثْلُ سَاقِ نَعَامَةٍ وَالشَّعْرُ مِنْهَا مِثْلُ حَبِّ الْفُلْفُلِ

وَالشَّعْرُ مِنْ تَحْتِ اللَّثَامِ كَأَنَّهُ بَرَقَ تَلَالُافٌ فِي الظَّلَامِ الْمُسَدِّلِ (15)

فالأبيات وإن كان ظاهرها هجاء وتعداد الصفات لم تكن محبة لدى السامع، ولم يستسغها الانسان العربي، فصفت أمه التي ذكرها ليست بالصفات التي يطلبها الذوق العربي، فالأُم لا تُخاطب بهذه الصيغة إلا إذا كان لعنتره غاية في هذا الوصف، فكأنه أراد أن يُبين ((حالة رفضية للأنساق الثقافية السائدة والتي كانت تعمل على طمس هوية (الأسود) وتهميشه ، إذ صرح بعبوديته التي كانت تراه عليها الثقافة البيضاء وتزجه في المرتبة الدونية من السلم المجتمعي ، فإنه يقول حتى (وإن كنت عبداً فهمتي فوق الثريا والسماك الأعزل) ، أي أنّ العبودية لا تمنعه من أي يعلي من شأنه ومكانته الإنسانية ، ونجده يركن أيضاً في رفضيته . لهذا الطمس والتهميش لهويته . إلى أفعاله الفروسية وبطولاته التي يفتقر إليها (الأبيض) ، وفي الشق الثاني من القصيدة نجده رافضاً أيضاً للأنساق السائدة حيث نراه يصف المرأة السوداء وهذا مغاير لما كان موجوداً ، إذ كان الوصف محصوراً بالمرأة البيضاء ، أمّا النساء الإماء (السود) لا يحقّ لهن ذلك ، فتصريحه بمزايا الجنس الأسود ، يعني رفضاً للنسق المعتاد ، فإنه لم يجد حرجاً في ذلك ، إذ صرح بمزايا أمّه (السوداء) المنبوذة والحتقرة ، حيث يصف ساقها بساق النعامة الضامرة والجافة والخشنة ، وهذا يعطي صورة مغايرة لما يحبذه العربي من امتلاء للساق وإرتوائها وليونتها ، إذ يدلّ هذا على الترف والنعيم ولا يكون لغير الحرائر ، ويستمر عنتره بتوصيف المرأة السوداء بأن شعرها شبيه بحب الفلفل أي أجعد وقصير ، وهذا ما لا يفضلّه الذوق العربي ، وأنما يفضل الشعر الطويل المسترسل ، وإن أسنانها بيضاء تشبه البرق الذي يتلألأ في الظلام ، وهذا الظلام يقصد به سواد الوجه ، وإن عنتره يبين إشفاقه على المرأة السوداء

المنبوذة والمضطهدة والمهمشة من خلال توصيفها بـ (الضبع) هذا الحيوان الذي كان منبوذاً عند العرب ، كونه حيواناً يدلُّ على التشاؤم لارتباطه بأذهانهم بفكرة الموت ، فجاء تشبيهه عنثرة لأُمِّه بـ (الضبع) من باب أنَّها منبوذة ووحيدة وغير مرحب بها. إنَّ هذا التوصيف للمرأة (السوداء) كله جاء مغايراً ومخالفاً لما كان سائداً في الثقافة العربية التي اعتادت على توصيف المرأة البيضاء فقط ، فإنَّ عنثرة يعلن رفضيته ولا يريد الإنسياق خلف الثقافة البيضاء حتى بطريقة التوصيف والتغزل بالمرأة)) (16)، فالجميل ما قد تبناه عنثرة من العمل على ازاحة الأفكار المتغلغلة في لبِّ المنظومة الاجتماعية آنذاك، فكان يفخر بما يحتقروه، ويرونه هامشياً.

وحين يكون للشعراء ما لا يكون لغيرهم فإنهم بمقدورهم تصوير القبيح، تصويراً جميلاً تميل النفس نحوه، ويستحسنه الذوق، بل بمقدور الشاعر التلاعب بالألفاظ وتحويل التعبير ليكون طوع الفكرة التي أرادها، وهذا ما ينطبق على أبيات امرئ القيس الآتية:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِذَرَ خِذَرَ غُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ!، إِنَّكَ مُرْجِلِي

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعَاً: عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْجِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَالْهَيْئُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحُولِ (17)

فالنص السابق كان مزدحماً بالألفاظ الصريحة على نحو (دخلت، مال الغبيط، عقرت، حبلى)، ولا تكمن قيمة هذه الشواهد في تعبيرها عن (شهوانية تهمة)، فهو أمر تكاد لا تخلو منه قصيدة غزلية من قصائد امرئ القيس، بل في نزعة التصريح التي تنطوي عليها. وقد يكون استخدام اللغة المباشرة العارية من كل تخيل مخلاً بأسس الكتابة الشعرية لكن متى قرأنا هذه الأبيات في سياقاتها انتهينا إلى أن التصريح واستخدام المبتذل، أو السخيف. يساهم بفاعلية كبيرة في إنشاء عالم شعري يتحول عند امرئ القيس إلى طقس احتفالي يستقطب كل أنواع اللذة. فكثيراً ما اقترن تغنيه بالغزل أو المغامرة الغزلية بإطار جنسي مثير وكثيراً ما كانت المغامرة الغزلية منطلقاً عنده لإنشاء معانٍ مختلة (18).

أمَّا الصورة الأخرى التي نقلها هي صورة أبي خراش الهذلي، وهي صورة تعكس ما يعاينه هذا الشاعر من حرمان وفقر وبؤس حينما يشبه تمزق نعله بهيكل عظمي لطائر بعدما يوكل لحمه، ففي نعله هذه من الخروق والتمزق ما يشبه الهيكل العظمي لذلك الطائر وهو يفضل نبذ هذه النعل والسير على قدميه؛ لأنها لا تجدي شيئاً ولا تنفع (19)

وَنَعْلٍ كَأَشْلَاءِ السُّمَانِي نَبَذْتُهَا خِلَافَ نَدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَوْرِهِمِ (20)

فالصورة التي يرسمها لنا أبو خراش في البيت السابق لا تبدو جميلة من حيث تشبيهها وخيالها، إذ صوّرت لنا حالة البؤس الذي يعيشه الفرد في مجتمع لا يرى فيه غير الميسور، فالفقر يصبح عالمةً على صاحبه، بل يكون هامشياً بين أفراد مجتمعه لذلك فالشعراء صوّروا واقع الفقر بأدق تفاصيله فهم ((نقلوا لنا ما كان

يعانيه الإنسان الجاهلي آنذاك من الجوع والحرمان وأشاروا إلى آثاره التي تركت بصماتها على الفرد من الم وظلم تارة ومن جوع وحرمان تارة أخرى، كذلك كان لهم موقفا ايجابيا من الفقر والغنى أو بعبارة أخرى من ثنائية الفقر والغنى في المجتمع الجاهلي، فراحوا يهتفون ويصرخون بضرورة التوازن والتكافل في هذا المجتمع وضرورة المساعدة والمعاونة بين الأغنياء والفقراء)) (21)، إلا ان الصورة التي رسمها أبو الخراش يكمن جمالها في واقعيتها المعبرة عن حاله.

3. الخاتمة

وبعد هذه الرحلة مع الشعر الجاهليّ والبحث في أغوار قبحه لنستخرج منه جماليات، لنقف في الخاتمة على أهم النقاط:

إنّ البحث في ثنائية التناقض القبح/ الجمال، ليس بأمر السهل، وتكمن صعوبته في كدّ الذهن والتحليل والتفسير في ما وراء النص، لتقريب الصورة لما يريد الشاعر قوله من دون التصريح عنه بشكلٍ مباشر.

توصل البحث إلى مصطلح جماليّة القبح فهو أداة تصلح لإضاءة جانب من عتمة التراث الشعري، وأن النقد العربي لامس جوانب منها دون أن يصل الشغاف، وأن الشاعر العربي قد وعى هذه قضية قبائح الحياة وعالج جانباً منها، حولها إلى شراب سائغ تمتعت بجماله قطاعات بشرية عبر العصور.

تبناه شعراء الجاهليّة إلى زجّ أشعارهم التي تخص القبح وجمالياته في مقطعات أو الحديث عنها في ثنايا القصائد بشكلٍ موجزٍ، كي يضمنوا وصولها لمتلقيهم، وسرعة حفظها.

تمثلت ثنائية القبح/ الجميل عند الشعراء بذكر الصفات الحسيّة والمعنويّة، الدالة على التشبيه وغالباً ما تدلّ على الصفات النافرة وغير المستحسنة لدى الناس، ومن ثمّ يُشير بإشارات متباعدة للجمال فيها.

4. الهوامش:

-
- (1) حسن، محمّد حسن. (1998 م). الأصول الجماليّة للفن الحديث، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي: 127.
- (2) يُنظر: مطشر، رشا رعد إشراف د. فرزدق قاسم كاظم، (2021م) المعالجة الإخراجيّة للقبح في العرض المسرحيّ العراقيّ المُعاصر: (رسالة ماجستير)، كليّة الفنون الجميلة، جامعة البصرة، العراق: 9.
- (3) شتيات، فؤاد فياض كايد ، (2017م)، جماليات القبح في الشعر العربيّ القديم، هجاء ابن الرومي انموذجاً، مجلّة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، مُجلّد 3/ العدد2: 82.
- (4) إسماعيل ، عز الدين (1955 م)، الأسس الجماليّة في النقد العربيّ، ط1، مصر، دار الفكر العربي: 32.
- (5) سيس، ولتر ترجمة: د. فؤاد زكريا، (١٩٨١م) معنى الجمال، نظرية في الاستطباق، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ٩٨.
- (6) المنجد، د. صلاح الدين، (1983)، القصيدة اليتيمة برواية القاضيّ التنوخيّ ط3، دار الكتاب الجديد: 30.
- (7) يُنظر: ابن يحيى. لمياء تفتق ، (1999 م)، القبيح الجميل في خمريات أبي نواس: مجلة حوليات الجامعة التونسيّة، العدد43: 218.
- (8) إبراهيم ، محمّد أبو الفضل، (1969م)، ديوان امرئ القيس، ط4، مصر، دار المعارف: 353.

- (9) يُنظر: الزوزني(486هـ)، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، (2007م)، شرح المعلقات السبع، ط2، بيروت، دار المعرفة: 143.
- (10) حرب، طلال، (د. ط، ت)، ديوان مهلهل بن ربيعة الدار العالمية: 58.
- (11) العامري، (1999م)، بيروت، ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر: 93، 94.
- (12) الخفاجي، قيس حمزة، (2016م)، سلطانية الإشاعة في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي في ضوء الأفعال الكلامية، مجلة كلية التربية جامعة واسط: 9.
- (*) الضماد في المعاجم اللغوية هو أن تصاحب المرأة اثنين أو ثلاثة غير زوجها، بهدف الاستفادة من كل صاحب لها؛ لتأكل عند هذا وذاك أوقات القحط، ولم يكن هذا النكاح مقبولا بين الناس؛ حيث اعتبره العرب خيانة من المرأة لزوجها، وكان هذا النوع من النكاح منتشر بين النساء من القبائل الفقيرة في زمن القحط، حيث كانت تذهب النساء للأسواق الكبيرة لمضامدة رجل غني، وعندما يصبح لديها المال والطعام تعود لزوجها، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 141/9.
- (13) كتاب أبي ذؤيب الهذلي حياته وشعره: الناشر عمادة شؤون المكتبات/ جامعة الرياض، ط1، الرياض، 1980م: 156.
- (14) ابن منظور (ت711هـ) جمال الدين محمد، (1970م)، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب: 3/ 266.
- (15) التبريزي، الخطيب، (1992م)، ط1، بيروت، شرح ديوان عنتر: قدّم له، مجيد طراد، دار الكتاب العربي: 1992م: 99.
- (16) عابش، حسين عبد الجليل، إشراف: أ. د. حسين علي عبد الحسين، (2018م)، (رسالة ماجستير)، الهوية عند الشعراء السود حتى نهاية العصر العباسي: كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق: 2018م: 157، 158.
- (17) ديوان امرئ القيس: 11-12.
- (18) يُنظر: القبيح الجميل في خمريات أبي نواس: 232.
- (19) ينظر: حفي، عبد الحليم، (1987)، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 187.
- (20) الشنقيطي، محمد محمود، (1965)، القاهرة، ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر: 131/2.
- (21) العبودي، ضياء غني لفته، الفقر في الشعر الجاهلي، (مخطوط غير منشور): 12.

5. المصادر والمراجع

1. حسن، محمد حسن. (1998م). الأصول الجمالية للفن الحديث، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي.
2. مطشر، رشا رعد إشراف د. فرزدق قاسم كاظم، (2021م) المعالجة الإخراجية للقبح في العرض المسرحي العراقي المعاصر: (رسالة ماجستير)، كلية الفنون الجميلة، جامعة البصرة، العراق.
3. شتيا، فؤاد فياض كايد، (2017م)، جماليات القبح في الشعر العربي القديم، هجاء ابن الرومي انموذجا، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، مجلد 3/ العدد2.
4. إسماعيل، عز الدين (1955م)، الأسس الجمالية في النقد العربي، ط1، مصر، دار الفكر العربي.
5. سيس، ولتر ترجمة: د. فؤاد زكريا، (1981م) معنى الجمال، نظرية في الاستطباق، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
6. المنجد، د. صلاح الدين، (1983)، القصيدة اليتيمة برواية القاضي التنوخي ط3، دار الكتاب الجديد.
7. ابن يحيى، لمياء تفتق، (1999م)، القبيح الجميل في خمريات أبي نواس: مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد43.
8. إبراهيم، محمد أبو الفضل، (1969م)، ديوان امرئ القيس، ط4، مصر، دار المعارف.
9. الزوزني(486هـ)، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، (2007م)، شرح المعلقات السبع، ط2، بيروت، دار المعرفة.
10. حرب، طلال، (د. ط، ت)، ديوان مهلهل بن ربيعة الدار العالمية.

11. العامري ، (1999م)، بيروت، ديوان لبيد بن ربيعة ، دارصادر.
12. الخفاجي، قيس حمزة، (2016م)، سلطانية الإشاعة في الشعر العربيّ حتى نهاية العصر الأمويّ في ضوء الأفعال الكلاميّة، مجلة كلية التربية جامعة واسط.
13. الناشر عمادة شؤون المكتبات ،(1980م)، ط1، الرياض، كتاب أبي ذؤيب الهذلي حياته وشعره: / جامعة الرياض.
14. ابن منظور (ت711هـ) جمال الدين محمد ، (1970م)، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، ونديم مرعشلي ، بيروت، دار لسان العرب.
15. التبريزي، الخطيب ،(1992م)، ط1 ، بيروت، شرح ديوان عنتره: قدّم له، مجيد طراد، دار الكتاب العربي.
16. عابش، حسين عبد الجليل ، إشراف: أ. د. حسين علي عبد الحسين، (2018م)، (رسالة ماجستير)، الهوية عند الشعراء السود حتى نهاية العصر العباسي: كلفة التربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة ذي قار، العراق.
17. إبراهيم، محمد أبو الفضل، (1969م)، ط1، مصر، ديوان امرئ القيس: دار المعارف.
18. حفي، عبد الحليم ،(1987)، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
19. الشنقيطي، محمد محمود،(1965)، القاهرة، ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر.
20. العبودي، ضياء غني لفته، الفقر في الشعر الجاهلي، (مخطوط غير منشور).